نظرية وجهات النظر الثلاث حول الجملة الفرنسية

لـ : كلود حاجيج

ترجمة : د . عبد الرحمان عيساوي*

يتفق اللسانيون من مختلف الأصول تقريبا حول وجود أربعة ميادين تقليدية لدراسة اللغات : الفونولوجيا ، والمعجم ، وعلم التراكيب وعلم الصرف ، وإن كان ينظر إلى هذه الأخيرة من خلال الانتاجات الفعلية للكلام ، فإن الوقائع والمناهج تنظم بطريقة أخرى . وهكذا لا يصبح التعامل مع مجرد كلمات تربط معان بأصوات وإنما هناك جمل ومجموعات من الجمل تشكل نصوصا . وهذه هي المادة البارزة التي ينتج وينظر كل واحد من خلالها . وفي مثل هذا الإطار يحدث أن ينتقل اللساني من الجمل للوصول إلى الكلمات . وعلى هذا تتجاوز دراسة الأصوات حدود الكلمة ، كما أن النغمات ـ التي تشكل الجمل وأجزاء الجمل إطارا لها ـ لها مكانتها شأنها شأن الفونيمات التي هي وحدات تميز الكلمات فيما بينها .

تشكل نظرية وجهات النظر الثلاث الإطار المقترح في هذا المقام لهذه الدراسة حول اللغات في واقع تمظهرها في الخطاب . ومن هنا تعرف الجمل حسب معيارين اثنين ، فهي أولا مجموع كلمات (وقد يصادف أن تكون واحدة) يتقبلها المستعمل السليقي على أنها كاملة ، أي أنها تكتفي بذاتها ولا تستلزم أيّة إضافة حتى تكون صحيحة نحويا وقابلة للتأويل دلاليا . ويعد المعيار الثاني شكليا : وجود نوع من الإحاطة التنغيمية تشير إلى حدود الجملة ، مهما كانت الصيغة المادية لهذه الإحاطة من لغة إلى أخرى وداخل اللغة نفسها .

إن تعريف الجملة على هذا النحو يمكن تناوله انطلاقا من ثلاث

* معهد الأدب العربي واللغات ، المركز الجامعي العقيد أكلي محند أولحاج ، بالبويرة .

وجهات نظر متكاملة . فالوجهة الأولى تنظر إليها من خلال علاقتها مع نظام اللغة . وهكذا تتم من خلال هذا المنظور دراسة الروابط بين الألفاظ وكذا التعبير عن هذه الروابط . وهذه هي وجهة النظر التركيبية الصرفية أو وجهة النظر[1] ، أما وجهة النظر الثانية فتربط الجمل بالعالم الخارجي الذي تتكلم عنه . وعليه ، لا يتعلق الأمر هذه المرة بالصيغ وإنما بالمعاني التي تنقلها ، ومن هنا تسميتها بالدلالية المرجعية المقترحة في هذا المقام للإشارة إلى وجهة النظر الثانية . وأخيرا من وجهة النظر الثالثة ، يتم تناول الجملة من خلال روابطها بمن يتلفظ بها والمرتبط هو الآخر بمستمع ما . يختار المتكلم إستراتيجية خاصة أو طريقة عرض تدرج هرمية بين ما يتلفظ به وما يتلفظ حوله . ومن هنا اقتراح تسمية التلفظية ـ الهرمية في هذا المقام لوجه النظر هذه .

يتعلق الأمر بوجهات نظر وليس بمستويات ، كما يظهر على نحو أدق في الترسيمة حيث جاء الترتيب في إطار تجاور أفقي وليس تتابعا عموديا . إن مفهوم المستوى وما يرافقه من تقديم ينطويان على علاقة هرمية أو على آلية تحويلية تصبح من خلالها المستويات قابلة للاشتقاق فيما بينها . بيد أنّ هذه الآلية ليس لها أي حقيقة ظاهراتية ولا حتى فائدة إجرائية . ومن جهة أخرى تقدم كل وجهة من وجهات النّظر الثلاث إيضاحات متساوية الأهمية ، دون غلبة أي وجهة ، فجميعها تسعى سوية لوصف اللغات أثناء الأداء كسلوك بشري نموذجي أصلي .

وتعد أيّ دراسة تجرى لوجهة من وجهات النظر الثلاث في معزل عن الأخريات بمثابة تكلّف يجهل حقيقة الروابط غير القابلة للفسخ بين الوجهات الثلاث فمن وجه النظر التركيبية الصرفية ، تعتبر اللغات أغراضا طبيعية ، ترتبط دراستها بميادين متنوعة : الفونولوجيا أو وصف أنظمة الأصوات التي تشكل الوجه المادي للكلمات ، علم الصرف كدراسة لبنية الكلمات ولتعاقبها المحتمل وللأقسام التي تصنف اللغات من خلالها؛ علم التراكيب كفحص للعلاقات بين الكلمات أو مجموع الكلمات وللعلامات التي تحملها هذه العلاقات . ويمثل الاقتصار على وجهة النظر الأولى بمثابة نسيان المعنى المنتج وللروابط بين المنتجين . كما أنّ الاقتصار على الوجهة

(1) ينظر فيما يخص الاختلافات بين نظرية وجهات النظر الثلاث وبين بعض النماذج التي تبدو ثلاثية إلى هذا الحد أو ذاك ، ك . حجاج « les pièges de la parole » .

الدلالية المرجعية وحدها معناه في حالة تتبع العواقب ، الانسياق وراء تقعيد ـ قد يكون حسب مسلمة من النوع المنطقي الرياضي ـ لظاهرة المعنى وللعمليات التي تضمن البناء والتأويل . ويصحب ذلك اختفاء مجمل الضغوطات التركيبية الصرفية التي تميز اللغات وكذا شروط الاستعمال الخاصة بالحوار . وأخيرا ، فأنه وبشد كل شيء إلى وجه النظر الثالثة ، يمكن الحصول على وصف للخطابات ولعلاقات التفاعل التي يقيمونها ، ويكون ذلك مقابل انفلات المكونات الأساسية للسان . وكون الواقع اللساني يتسع للأوجه الثلاثة معا ، فذلك معناه أن وجهات النظر الثلاث عليها أن تقابل ثلاثة حقول تحمل نظرة واحدة ووحيدة . ومهما كان منهكا وخطرا الجلوس على قمة هرم ، فإن اللساني كي ينصف التقعيد الذي يلف موضوع دراسته ، لا يملك خيارا آخر ، كما أن نظرته تنتقل بالضرورة في إطار الفضاء المجازي الخاص بتساؤله حتى يتفحص المنحدرات الثلاثة لدراسة اللغات كما تحددها الأضلاع الثلاثة لهذا الهرم : ضلع علوم الطبيعة ، والضلع الرياضي المنطقي ، والضلع الاجتماعي النفسي .

ولتسهيل هذه المهمة ، من المفيد أن تؤخذ بعين الاعتبار واحدة من العبارات الدنيا الأكثر بساطة ، والأكثر توضيحا في معظم اللغات ، وهي العبارة المكونة من لفظين . فمن وجهة النظر التركيبية الصرفية ، تعد ملفوظة من هذا النوع كما هو الحال على سبيل المثال في اللغة الفرنسية مع : pierre chante مقيمة لعلاقة بين مسند chante (الذي ينبغي تمييزه عن الإسناد ، اسم الظاهرة) ، وفاعل يحدده ، الذي هو pierreفي هذا المقام . ومن وجهة النظر الدلالية المرجعية : يمثل pierre دور المشارك الذي يأخذ جانبا في الحدث . في حين أن chante يمثل العملية أي الحدث نفسه . وأخيرا ومن وجهة نظر التلفظية الهرمية ، يعتبر pierre الموضوع أي ما يعبر عنه الملفوظ ، بينما chante فهو المحمول أي يمثل ما يقال عنpierre .

لا تتعلق نظرية وجهات النظر الثلاث بتوضيح لهذه الأنواع الثلاث من العلاقات بين الألفاظ ، بل هناك فضلا عن ذلك تضامن بين وجهات النظر الثلاث . فبالفعل وفي معظم الأحيان (وليس دائما) ، تكون الكلمة الموظفة كفاعل من وجهة النظر الأولى ، هي ما يمثل المشارك من وجهة النظر الثانية ، والموضوع من وجهة النظر الثالثة . وهكذا إذن ، هناك نفس

التقابل من الناحية التناظرية بين المسند (وجهة النظر1) ، والإجراء (2) ، والمحمول (3) ، وعليه في عبارات مثل : pierre chante أو l'enfant bavarde ، أو il court ، أو les invitées sont arrivés ، تظهر الكلمات أو مجموع الكلمات pierre، il، l'enfant، les invites في نفس الوقت كمفاعيل بعبارة تركيبية صرفية ، وكمشاركين بعبارة دلالية مرجعية ، وكمواضيع بعبارة تلفظية هرمية . وكذلك الحال بالنسبة لـ : chante، court، bavarde، sont arrivés التي تحلل كمسندات بعبارة 1 ، وكتعبير عن الإجراء بعبارة 2 ، وبعبارة 3 كأخبار مقدمة عن الموضوع باعتباره الأساس أي كمحمولات . ويمكن رسم هذا التقابل كما يلي :

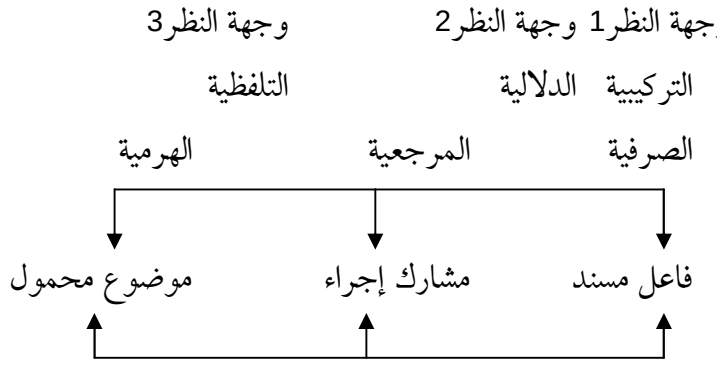

ورغم ذلك ، يحدث أن يكون المسند هو المقابل للموضوع الذي يعتبر بمثابة العامل الأقل إخبارا ، والذي يقدم توضيحا بخصوص ديكور ما . في حين يحدث للمحمول ، الذي يقدم الخبر الأجد ، أن يصادف الفاعل . وهكذا في عبارة مثل : il reste trois poires ، أو في أثناء ربط للأحداث survient un homme armé يحمل الجزء الثاني من الجملة أخبارا أكثر من الجزء الأول[1] . ويمكن أن يلمس ذلك في الحالة التي لا

(1) يعد هذا النمط من البنى شائعا أكثر مما هو عليه في اللغة الفرنسية في لغات مثل الإيطالية التي تقدم عادة الفعل الحامل للخبر الثانوي . والمفارقة التي نحصل عليها إذن تتضح جليا في مقطع من فيلم لفليني : la strada حيث يتم تكليف العاملة الصغيرة لدى لاعب المعارض بإعلان وصوله في كل مدينة بقرع الطبول التي ترافق الصيحة : « é arrivato Zampano » يرى انها تخطئ وتعلن من خلال قلب العبارة : Zampano é arrivato مما يكلفها تأديبا قاسيا من معلمها : إن اسم القادم الجديد هو العنصر غير المتوقع ولذلك ينبغي أن يأتي في آخر الملفوظ ، وإذا ابتدأ الملفوظ به فسيحدد على الفور كموضوع أي بمثابة العنصر الأقل إخبارا ، وبالتالي العنصر الأقل أهمية هنا ، في الوقت الذي يفترض به أن يكون وصوله معروفا وأن اسم من وصل

يخصص فيها المتكلم تعبيره إضمارا للخبر الرئيسي . ولا يعني هذا أن الآخر عديم القيمة ، إنما وببساطة أن مقام الحال سد مسده ، ومنه العبارات! un homme armé, trois poires ، ليست إذن الكلمات الاستئنافية il reste في الحالة الأولى وsurvenir في الثانية هي التي تحمل الخبر الرئيسي ، رغم كونها من يشغل دور المسندات . ومعنى هذا أنه بوجود أو عدم وجود توافق بين المسند والمحمول وبين الفاعل والموضوع ، هناك مع ذلك دوما علاقة تقابل بين الأنواع التركيبية الثلاثة للجملة .

وقبل الخوض في أي من هذه الأنواع لابد من الإشارة إلى حدث جوهري . يبدو أن الترتيب الذي تبنيناه في هذا المقام يتضمن في حد ذاته هرمية أو على الأقل ترتيبا تفضيليا . وفي الواقع ، ليس الأمر كذلك ، بل يجب الأخذ بالحسبان توجهين اثنين . فإذا تلقى مستمع فرنكفوني رسالة من قبيل j ai acheté l éducation sentimentale hier فإنه سيقوم بتفكيك الرموز انطلاقا من الصيغ المتوفرة وحسب قواعد اللغة الفرنسية وذلك للوصول إلى المحتوى الذي انطلق منه منتج الرسالة . أما وبخلاف ذلك ، إذا كان الفرنكوفوني هو المتكلم ويأمل تقديم خبر حول شرائه لكتاب خاص ، فإنه سيرمّز دائما حسب قواعد اللغة الفرنسية المحتوى المكافئ وهذا للحصول على الصيغة التي تشكلها الرسالة ذاتها . وبعبارة أخرى ، إما أن ننطلق حسب لسانيات المستمع ، ومنه سنتبع مسارا سيماسيولوجيا : الانتقال من الصيغ نحو المعنى ، أو من الرسالة كمعطى لتأويل المحتوى أو تفكيك الرموز . أو نختار لسانيات المتكلم التي باهتمامها بمسألة الدلالة وبهرمية الخبر المرسل ، ترمّز المحتوى حسب نظام اللغة وهكذا نتبع مسارا أونوماسيولوجيا : الانتقال من المعنى إلى الصيغ المعبر عنها ، وفي

هو ما يشكل المفاجأة . ومن خصائص اللغة الفرنسية أنها لا تقدم بسهولة الفعل عن الفاعل في البنية التأكيدية؛ إذ تستعين بالأحرى بالصيغة :

Celui qui…c est : celui qui arrivé c est zambano وبالمقابل ، تعزز بعض الصيغ الفرنسية المكتوبة ومن بينها النوع الصحفي وبعض تنوعات البلاغة للأدباء و « أسلوب العلوم الإنسانية » ظاهرة تقديم الفعل الناقل للخبر الأقل أهمية :

(L'inspirent plus particulièrement l amour, le sexe, les mœurs, les fantasmes, les angoisses, de l époque, le snobisme, intellectuel, la psychanalyse, la drogue, l âge, et accessoirement, la mort) (le mode, 15 mai 1979, p 19) ويصبح هذا الإجراء تكراريا في بعض الأعمال العلمية : se pose le probleme de…)), se present alors une difficulté . Etc

هذه الحالة الثانية ، سيأتي ترتيب وجهات النظر الثلاث مقلوبا مقارنة بالـذي تبنيناه في هذا المقام : فتصبح الوجهة الإخبارية الهرمية رقم 1 ، والتركيبية الظرفية رقم2 . غير أنّ السعي وراء إبدال الترتيب السابق معناه العودة إلى تصور يتبنى الترتيب الهرمي للمستويات ، في حين انه ــ كما سقنا سابقا ـ لا تتضمن وجهة النظر في مفهومها معنى الهرمية ، وإذا أصرينا مع ذلك على منح معنى لهذا الترقيم ، فلابد من تذكر تكامل هذين المسارين من خلال قابلية تبادل المتكلمين . وعلى كل حال يمكن للترتيب المتبنى هنا أن يعكس بفاعلية حالة الطفل الذي يبدأ بالضرورة على مدار تاريخ تعلمه ، في أن يكون مستمعا ولكن هذا لا يعني بعد قصدنا في تشجيع لسانيات المستمع كرد على لسانيات المتكلم التي تميز عددا من التيارات الحديثة . وهكذا في النحو التوليدي ، ومع امتناعنا من خيار أحد التوجهين ، تتراوح القواعد المقترحة بين الترسيمات التحتية للبنى المحققة في غياب أي حساب متوقع ولو كان تناظريا ويسمح إذن بالاشتقاق في الاتجاه المعاكس ، وهذا معناه دراسة للرسائل المبنية سابقا كنتائج تنتظر التفكيك وليس فقط بناء الرسائل كإجراءات خاصة بالترميز[1] ، وهذا ما ينطوي على أولوية ينبغي رفضها شأنها شأن الأولوية العكسية .

وجهة النظر التركيبية الصرفية

كثيرة هي الوقائع التي تنمي فكرة سراب الاستقلالية التركيبية . فيمكن على نحو ما ، كما في المؤلفات الأدبي تفكيك المعجم ، نسف الكلمات ، زرع التنافر الظاهر (دون التوقف مع ذلك عن إرسال معنى) . وبالمقابل لا يمكن على الخاطر خرق القواعد التركيبية رغم وجود مناطق للالتواء) . تمنع بعض أنماط اللغات أيّ انتهاك كان لقواعد توافق الفاعل مع المسند ، أو بين المسند مع الظروف كما أن بعضها الآخر يقتضي احترام ترتيب الكلمات ، خاصة إذا كان هذا الترتيب هو من يتحكم في المعنى . أما فيما يخص علم الصرف بمعناه الحصري ، فقلما يمكن تعديل صيغة المؤشرة إلى الوظائف ، علامات الإعراب التي تلحق اللغات المعربة ، علامات الزمن ، الهيئة ، وعند الاقتضاء ، الجنس والعدد . . . الخ وفي حالة الحبسة الموسومة بالدلالية ، يحتفظ المريض بالترسيمات التركيبية المتعلقة

(1) Cf . Hagége, la grammaire générative réflexion ritiques, op-cit, p 191 ـ 192 .

بالتعريف ، والعطف والتبعية والإسناد . ومع ذلك لا تكاد تكون أسلسلة حاملة للمعنى . وكأن الأمر يتعلق بالاحتفاظ بالتركيب وحده ، مع فقدان المعنى . كما أن البنى التركيبية يحدث لها أن تكون أكثر مقاومة من المعجم فيما يخص ظواهر التداخل والاقتراض من لغة أجنبية . إحدى الميزات الجوهرية للغات ـ ميزة غريبة بالنظر إلى الصواب في البحث ـ فرض ضغط التركيب على التعبير الشفوي ، إذ يخضع المعنى لصقالة القواعد رغم كون كثير من الجمل المركبة بشكل سيء قابلة للتأويل . يظهر عدد من التجارب أن الإنسان وباكرا في حياته ، يكتسب ضميرا يتعلق بالضغوطات اللغوية . ويأخذ تصحيح الأخطاء التي يقع فيها الأجانب منحى التركيب أكثر من المعنى ، كما أن السلوكات التصحيحية للطفل ـ النحوي يمكن ملاحظتها ابتداء من عمر الأربع سنوات ونصف ، لاسيما إذا كان مزدوج اللغة بشكل واضح[1] . كل ذلك كما لو كان الاهتمام المخصص للتركيب بدلا من المحتوى يتم تفضيله من خلال القدرة على التعبير عن النفس من خلال اثنين من التراكيب ، أي من خلال لغتين مختلفتين .

ورغم هذه الاعتبارات ، لا يمثل التركيب غاية في حد ذاته لكنه بسبب كونه نتيجة نوعا ما لتجمد الدلالة على مر الزمن ، يحدث له أن يظهر أحيانا وكأنه نظام مغلق يميز الكائن حتى في اللغة نفسها . ورغم ذلك ليست الغاية من الكلام تطبيق قواعد النحو أو التمثيل عليها كما في الدرس أو المنوال حيث يركز فيها النحوي (أحيانا عمدا) على الأمثلة التي يضعها ، وإنما الغاية من الكلام هي نقل المعنى ، ولذلك تتمايز اللغات جذريا عن الأنظمة المنطقية التي تتشارك معها في تركيب يعتقد في كونه مستقلا في إطارها أيضا . وفي النموذج الثلاثي المتبنى هنا ، لا يعثر على استقلالية التركيب هذه التي تعمل بعض النظريات الحديثة اليوم كما في النحو التوليدي على تخليد الوهم القائل بوجودها . فقواعد بناء الملفوظات ليست مستقلة عن المعنى الذي تعبر عنه ، ولا عن الخيارات التي تنظم الخبر . ففي لغة ما ، تعتبر أخطاء التركيب التي قد يرتكبها الطفل أو

(1) Cf . s . j . galambos et s . goldin _ meadow, «learning a second language and metalinguistic awareness», in paper from the nineteeth regional meeting, Chicago linguistic society, 1983, p 117 _ 133 .

الأجنبي أو الشخص البالغ الذي قل تردده على المدرسة ، مشوهة للمعنى في حين أنه في أنظمة المنطق الصوري يدمر أي خطأ في التركيب وأي خرق للمقاطع ، وكل قلب للجمل هو قلب للبناء بأكمله .

وجهة النظر الدلالية المرجعية

إن تاج . استقبال المعنى

يمكن رسم تصنيفية للملفوظات الدنيا المكونة من لفظين ، ويسمح فحص عدد كبير من اللغات بالوصول إلى النموذج التالي الذي يمثل الحالات الأكثر شيوعا والذي نمنحه وضع الفرضية التجريبية التي ينبغي مراجعتها انطلاقا من عدد أكبر من الحالات .

الأنماط الدلالية المشارك

1 تعادلي يحدده الإجراء

2 إسنادي يصفه الإجراء

غير فاعل3 مقامي يعرفه الموقف

4 وجوديموضوع كموجود

5 وصفي يدرك كمسرح الإجراء

فاعل 6 يملك نوعا من السيطرة على الإجراء .

يقيم الملفوظ الأدنى المكون من لفظين علاقة بين إجراء ومشارك . ويمكن تناول هذا الأخير من عدة جوانب : باعتباره معرفا أو قابلا للتعريف (ملفوظ تعادلي ، مثل : jean est un menteur (تقدم اللغة الفرنسية ، بإصرارها على التعبير عن أداة التعريف والفعل « être » ، أكثر من لفظين)؛ باعتباره مادة الإسناد (ملفوظ إسنادي ، مثل jean est généreux)؛ باعتباره مموضعا بالمعنى الحقيقي (dans sur chez الخ) أو مجازا (« avec pour)(ملفوظ مقامي ، مثل : jean est ici ؛ باعتباره موجودا (ملفوظ وجودي ، مثلما هو الحال في اللغة الفرنسية المحكية ya (il y a un « (في كثير من اللغات التي لا تملك الفعل « avoir » ، شأن اللغة العربية والعبرية الفصيحة والروسية واللغات الحامية الشامية يستعمل للتعبير عن الملكية

الملفوظ المقامي ذو البنية « y est chez x » أو الوجودي ذو البنية « existe y » مع إضافة المالك « chez x » ؛ باعتباره موقع الأحداث (ملفوظ وصفي مثل jean dort)؛ وأخيرا باعتباره موهوبا إلى حد ما له السيطرة على الإجراء مفترضا حالة وعي أو إرادة ، مقابل الأنماط الخمسة السابقة التي يدرك فيها المشارك كعامل غير فاعل (ملفوظ فاعل ، مثل jean travaille) .

سبق أن رأينا من وجهة نظر تركيبية صرفية كيف أن الملفوظ الأدنى المكون من لفظين يشكل إطارا ملائما ، ففيه يمكن وبسهولة كشف التكرار ، وأنماط العلاقات ، والتوافق بين فئات الكلمات والمقاطع وروابط التعريف المميزة لكل لغة ، فضلا عن أنه يقدم إطارا فعالا لإبراز العلاقات الدلالية الأكثر بساطة بتمييزها عن مقام حال الخطاب ، الذي يساهم في تكوين المعنى ومع هذا ، لا يشكل الملفوظ الأدنى المكون من لفظين الوحدة الإجرائية الأساسية ، فالمكان الذي يتكون فيه المعنى ليس أصغر ملفوظ معزول ، بل هو النص كمجموعة من الجمل (إذ يعتبر لفظ « جملة » مناسبا أكثر من لفظ « ملفوظ» كلما تعلق الأمر بقطعة في إطار كل منسجم . يعبر النص عن رسالة متجانسة تقبل التقطيع إلى أقسام (شأن الفقرات في الكتابة) تتمفصل الكتابة من خلالها . ويتعلق الأمر طبعا إما بنص مكتوب أو نص شفوي . تمتلك جميع اللغات كلمات رابطة أو بنى نحوية أو منحنيات تنغيمية تعمل على إبراز إضافة أو تدرج للأفكار والخيارات التي تجري في إطار هرمية حجاجية أو سردية . لا يمكن ملاحظة الاتساق أو التراكم داخل الجملة وحسب ، بل أيضا في إطار الفقرات الشفوية أو المكتوبة ككل متجانس وهناك علامات لاتساق جمل نص ما من قبيل : التكرار أو هي الكلمات التي تعيد جزءا سابقا ، أو الكاتافوريك أو هي الكلمات التي تستبق جزءا لاحق الذكر ، إلخ . وفي بعض لغات أمريكا الجنوبية وغينيا الجديدة ، كما هو الحال داخل الحكايا أيضا ، قد يحدث لحم جمل فيما بينها بتوظيف جمل تحليلي تعيد حرفيا أو باختصار جزءا بأكمله من السياق السابق وفي لغات أخرى (كما في كولومبيا ولغة الإنغا والإيكا) تشير بعض المورفيمات الخاصة إلى أن الانتقال من جملة إلى أخرى يغير المسار الرئيس ، وأنه على سبيل المثال ، يتم الانتقال من عرض الأحداث إلى وصف الظروف .

وعليه وبالإقرار بضرورة العمل على مستوى النص وليس على

مستوى الملفوظ المعزول ، ما هي في هذه الحالة العناصر التي تشكل المعنى ؟ إنه تساؤل لا يخلو من المجازفة ، لا يتعلق الأمر بالمدلول الخاص بكل دليل وحسب ، وهو الذي يطلق على مساهمته اسم الدلالة لتمييزها عن المعنى عامة وإنما بالظاهرة الأكثر اتساعا منه والتي تحتويه : ما تعنيه جملة ما في نص ما ، أو أي تبادل للجمل في حوار ما ، أو أي نص شفوي أو كتابي . وانتماء المعنى مباشرة إلى اللسانيات ، مع عدم كونها المادة الحصرية لدراسته ، هو حقيقة يقرها الجميع . وباختصار المسألة على ظاهرة واحدة واضحة ، والمتعلقة بتطور الكائن الفرد ، نلاحظ أنه في الطفولة المبكرة ، تتجهز المقاطع السمعية والمعنى بشكل متوازي من وجهة نظر عصبية .

ويجمع الجدول التالي في ثلاث مناطق مكونات المعنى وفي حقلين أوجهه :

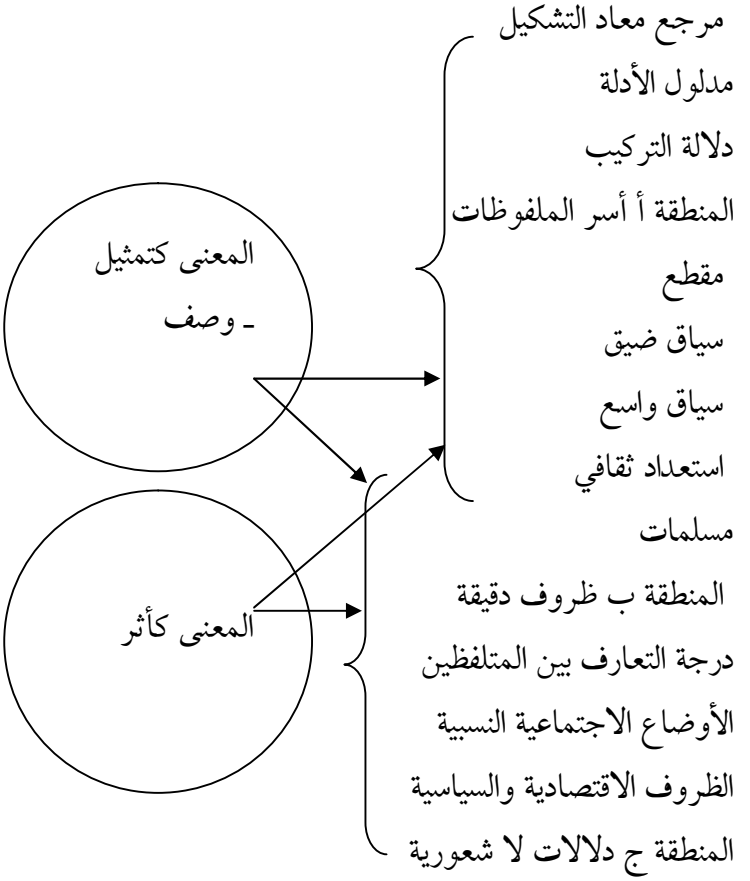

إن الميزة الأساسية لمنطقة المعنى أ هي ترميز مكوناته . وهو ما يعني أن هذه الأخير تطابق وسائل شكلية ثابتة تنتمي إلى اللغة . وتذكر صياغته من قبيل « مرجع معاد التشكيل » بحقيقة كون اللغة ليست مجرد رد للعالم ، بل على العكس ، فإنها تعمل على إعادة تنظيمه . ويمثل المكون الثاني وهو مدلول الأدلة ، الإسهام الذي يضفيه على المعنى جمع المدلولات وتوافقها فيما يخص كل دليل ، أي الأدلة . وتحلل المدلولات نفسها في حدود وحدات الدلالية دنيا أو سيمات ، ويعكس التنظيم السيمي في كل لغة براكسيس المجتمع الذي ينمي المراجع بطريقة مميزة في كل حالة وذلك على نحو يمكن من خلاله تناول الكلمات كبراكسيمات او تعابير لغوية عن ذلك البراكسيس . ويدور موضوع دراسة علم البراكسيماتيك حول الطبيعة الحقيقية للمتن اللغوي للغات ، ليتميز بذلك في مقابل سكونية الدراسة المعجمية بتغيره حسب البراكسيس وتجلياته ، وهي التي تتطور بسرعة في المجتمعات الحديثة . كما يوجد من جهة أخرى استقلالية خاصة بالمدلول ، إنها كيان تقدمه معرفة اللغة أكثر مما يقدمه توظيف السياق : فقد يظهر في سياقات غير معتادة تماما أو يوجد في صراع معها دون أن يمنعه هذا من أن يكون معروفا مع ذلك .

تتمثل دلالة التركيب في تلك المشاركة في إنشاء المعنى الذي يشكله كل من انتماء كلمة إلى فئة من فئات اللغة (اسم ، فعل ، ظرف ، وكذا الوظيفة التي تؤديها في إطار النص التي تظهر فيه (فاعل ، مسند ، إلخ) وعلى هذا تعبر الأفعال وعلامات الفضلات (حروف الجر ، حروف الجر اللاحقة ، إلخ) ، عن العلاقة عكس الأسماء ويدخل في إطار دلالة التركيب أيضا المعاني التي تنشأ من الروابط بين ملفوظات من نفس الأسرة : التحويل مثل : J ai été heureux de sa venue

jean n a pas : وإعادة الصياغة مثل . Il est venu et j en été heureux
/il t ont prêté de l argent leur : التضاد مثل ، jean a menti /dit la vérité
prête de l argent

إن مشاركة المقطع (ترتيب الكلمات) في المعنى ظهرت سابقا . بالنسبة للصفة في اللغة الفرنسية ، ويمكن توضيحها بعدة أمثلة أخرى . فتلك المتعلقة بالسياق تمثل واقعا مجربا ومعترفا به ، رغم ـ كما رأينا للتو ـ كون مدلول الأدلة يمثل كيانا يمكن التعرف عليه في حد ذاته . فالمسألة

هي إما مسألة كلمات متجاورة بشكل مباشر أو تنتمي إلى نفس الجملة أي تتعلق بالسياق الضيق (مثل : grand ليس لها نفس المعنى أمام كلمة garçon أو أمام connaisseur) ، أو هي مسألة رسالة ذات نطاق واسع ، كما في السؤال التالي : qui as ـ ? tu rencontré التي تزود بالعناصر الضرورية لتأويل الجواب pierre ، وهو الذي يكون غير مفهوم إذا جاء معزولا . يتعلم الإنسان أثناء طفولته لغته الطبيعية في الوقت الذي يبني فيه اللغات المعقدة . وهنا ، لابد من التأكيد على خاصية جوهرية للغات الطبيعية في هذا المقام : مقابل الكلمات التي تنتمي إلى اللغات المعقدة ، أي مقابل الكلمات التي تمثل نفس القيمة في جميع السياقات . فإن الكلمات في اللغات الطبيعية تتأثر بالسياق وتتغير من خلاله ، وهذا ما يشكل إحدى شروط إمكانية الإبداع الشعري . وفي الخطاب كما في الحوار ، يحدث وبشكل أوسع أن يشكل حجم الأخبار المقدمة في مختلف المراحل المتعلقة بالنص نفسه وغير المعادة في كل جملة جديدة (إلا في الحالات المرضية أو في الأساليب السردية كتلك المتعلقة بلغات أمريكا الجنوبية كما هو الحال في غينيا الجديدة الأنفة الذكر) ذخيرة دلالية ضرورية للفهم المتبادل ، وهو ما يمكن تصوره كمعرفة مشتركة مفعلة . وانتسابه إلى منطقة المعنى أ يضمنه حقيقة كون أجزاء النص السابقة تشكل ظواهر شكلية متعلقة بتحليل لغوي عادي .

ومقابل المنطقة أ ، تعد منطقة المعنى ب ميدانا للاحتمال . فهي غير مرمزة إذ أن جميع مكوناته ترتبط بمقامات حال جديدة وغير متوقعة في كل مرة . ويقصد بالاستعداد الثقافي هنا المعرفة التي يتقاسمها المخاطبون فيما يخص المحيط المادي والاجتماعي والثقافي الخاص بكل لغة وبكل موقف حواري . إن الانتماء إلى نفس العالم الإدراكي قد يشكل شرطا للفهم المتبادل رغم عدم كونه شرطا كافيا ورغم اللاتناظر بين الإرسال والاستقبال الراجع إلى الحالات العابرة والعرضية لكل شريك ، قد يشكل عائقاً . ومهما يكن الأمر ، يتساوى أعضاء نفس المجموعة فيما يتعلق بالاستعداد الثقافي . وهكذا يتم إقصاء الأجنبي الذي لا يحسن الحديث بهذه اللغة ، ولو كان بين يديه نصوصا مترجمة ، فإن عدم استعداده يجعل من بعض الصيغ المتجانسة كثيفة . وعلى هذا وفي اللغة الشاونية وهي لغة كونكية من لغات أمريكا الشمالية ، تكون الجملتين اللتين تقابلان الجملتين الفرنسيتين المختلفتين بشكل كبير وهي : « je fais dévier la branche en

tirant dessus» و« j ai un orteil supplémentaire» تكونان إذن شبه متماثلتان فإحداهما : ni _ l'oawa _ ko _ n _ a بمعنى je fourchu _ branche _ manuellement _ action d'un agent sur un patient . والأخرى « ni _ l'oawa _ ko _ oite» بمعنى « je fourchu _ branche _ oteil»[1] . من المؤكد أن هذه اللغة لا تمتلك مقابلة فعلية اسمية واضحة ، وما يشكل في اللغتين الفرنسية والإنجليزية اسما يمثل فيها لاحقة تصنيفية (فـ ko في هذا المقام هو عنصر يطابق كل شيء له فرع) . ومع ذلك ، ليس فقط لأسباب تعود إلى البنية التركيبية الصرفية يكون هذا التشابه بين الجملتين الشاونيتين تشابها صارخا في نظر شخص فرنكفوني ، وإنما أيضا بسبب انه في ثقافته هو ، تعد القرابة بين الجذع وأصبع الرجل في أفضل الحالات قرابة مجازية ، بينما تم تناولها هنا وكأنها أمر طبيعي بديهي .

وهذا ما يؤكد حقيقة كون المعرفة المشتركة للمحيط الثقافي ليست أجنبية عن السنن اللغوي . وقد أظهرت تجارب[2] أنه في بعض اللغات التي تسمح بخطاب إضماري نوعا ما كما في اللغة اليابانية ، يختصر المخاطبون من عدد الإضمارات حسب الألفة التي تجمعهم مع شريكهم في الخطاب ، ويصل هذا الاختصار إذن إلى أقصاه أمام شخص أجنبي حتى لو كان يتكلم اليابانية بسهولة . فالاستعداد الثقافي واللغوي تربطهما علاقة وطيدة . وقد أهملت اللسانيات البنوية ، بإصرارها كثيرا على السنن المشترك بين المخاطبين . التذكير بعدم كفايته وأكثر من ذلك ينبغي على الشركاء أن يتفقوا حول ما معنى القول أو عدم القول بنفس الشيء . يجب إذن أن ينتموا إلى نفس الثقافة أو إلى ثقافات متقاربة إلى حد بعيد ولكن هذا لا يمنع من حدوث سوء الفهم .

تشكل التضمينات المعنوية جانبا من الاستعداد الثقافي ، وإنما أيضا جزءا من تجربة العالم الخاصة بالتنوع البشري في مجمله بالنسبة

(1) مثال ذكره

B . L . Whorf, Language, thought and reality, op-cit, p 233 .

(2) Cf . J . Hinds, « Shared information in Japanese conversation », Working Group17 : Shared Knowledge in language use in proceedings of the XIII th International Congress of linguistics, op-cit, p1315 .

(2) يرجع هذا المفهوم إلى p Bourdieu ينظر من بين الأعمال الحديثة .

Ce que parler veut dire, Paris, Fayard, 1982, p 83s .

للتضمينات ذات القيمة العالمية ، فمثلا : il commence a dire maman تتضمن (بعيدا عن الحال الخاصة جدا بمراهق متوحد)جملة من قبيل c'est un enfant ويرجع الأمر بعدها إلى الظروف الدقيقة للتبادل اللغوي كي تشارك في بناء تأويل المعنى بعيدا عن الحرفية . وهكذا ، il nous quittera bientôt عند تطبيقها على شخص يحتضر ، لا يمكن أن تعني أن هذا الأخير يتأهب للمغادرة ، إن تأويل عدد من الرسائل في الحديث اليومي تشرك مكونات خاصة بالتواصل غير اللغوي : السلوكات الجسدية خاصة منها حركات الرأس والأذرع ، مكونات حركية أخرى متنوعة ، مواقف ، أفعال . ومن جهة أخرى ، يرتبط المعنى كذلك بدرجة معرفة المتلفظين لبعضهم البعض ، أي بكل ما يعرفه أحدهما عن الآخر : الأفعال ، الإيديولوجيا ، مزاج متكرر ، أسلوب الحياة ، المظاهر المكتسبة في عدة مجالات . وإذا حدث تجاهل التوجهات السياسية للمخاطب خاصة في بداية حوار ما ، لا يمكن إذن أخذ فكرة حول ما تعنيه بالنسبة إليه كلمات مثل : اليسار ، اليمين ، الديمقراطية ، الشيوعية ، نسواني ، . . . إلخ . إن المعرفة المتبادلة بين الشركاء هي أيضا متغيرة وذلك يرجع إلى تنوع مقامات الحال شأنها شأن الاستعداد الثقافي والظروف الدقيقة .

ونفس الشيء بالنسبة للمكونين الأخيرين من المنطقة ب : الأوضاع الاجتماعية النسبية والظروف الاقتصادية والسياسية . إذ يلاحظ أن المكونات الخمسة لهذه المنطقة ليست مرمزة في نظام ما عكس ما هي عليه مكونات المنطقة أ (إلا إذا تعلقت هي نفسها مباشرة بعلم التركيب الصرفي مثل : الصيغ الشخصية للمجاملة وللروابط الهرمية في عدد من لغات آسيا الشرقية وغيرها) . إنها تشكل متغيرات ، وبناء على ذلك ومع أهميتها كعوامل لبناء المعنى والكشف عنه ، فهي لا تعرض نفسها لقواعد تأويلية معبرة عن أحداث متواترة ومتوقعة بانتظام أي لقواعد إنتاج ــ استقبال المعنى . أما فيما يخص العوامل القابلة للتكامل مع عراقة دلالية للحياة اليومية والتي تذكرها التيارات المعاصرة) ذات الفاعلية المتبادلة ، فإن الوحيدة التي تكون قابلة من بينها لترميز في حدود لغوية هي تلك التي يشير إليها إ . غوفمان[1] كـ « ملفوظات لغوية » : « إن المادة السلوكية

(1) Les rites d'interaction, Paris, Ed . de Minuit, 1974(tr . fr . d'interaction ritual, Essays on face _ to _ face behavior, New york doubleday and C, 1967), p 7 .

النهائية تتشكل من النظرات والإيماءات ، ووضع الجسم ، الملفوظات اللغوية التي لا ينفك أي شخص من حقنها عمدا أم لا في الموقف الذي يتواجد فيه :

وتعد منطقة المعنى ج هي الأخرى شبه مستحيلة الترميز . والحديث هنا يكون عن المدلوليات حيث لا يتعلق الأمر بالدلالة (ظاهرة خاصة بالدليل) ولا بالمعنى(ظاهرة خاصة بالنص كنسق من الأدلة في موقف كلامي محدد) . وكون هذه المدلوليات مطمرة في اللاشعور فإنها تنقلت من الترميز المتميز بالإجماع الظاهر . ولكن في حقيقة الأمر حتى بالنسبة لمكونات المعنى التي تستجيب لترميز ما (المنطقة أ) ، والأولى من ذلك بالنسبة لمكونات المنطقة ب التي لا تستجيب لأي ترميز ، يعد هذا الإجماع نظريا أكثر من كونه واقعيا . ويعد الغموض بناءا في عملية التواصل اللغوي .

وفيما يخص وجهي المعنى ، فإن الأول المتعلق بالمعنى كتمثيل ـ وصف معروف منذ زمن بعيد ، في حين أن الثاني المتعلق بالمعنى كأثر لم تتم دراسته بانتظام ، على الأقل في القرن العشرين ، إلا من خلال الأخذ بعين الاعتبار للتحصيلات الفعلية للتبادل الحواري . لا يغطي المعنى كتمثيل ـ وصف حصريا المنطقة أ ، كما أن المعنى كأثر لا يغطي المنطقة ب . ومثلما يظهره الجزء المظلل واتجاه الأسهم في الجدول من الصفحة 287 ، فإن وجهي المعنى يتداخلان كما أن كل واحد يغطي المنطقتين أ وب معا . إن إعادة بناء المعنى كتمثيل ـ وصف قد يطلب تدخل مكونات غير مرمزة كالاستعداد الثقافي على سبيل المثال . وعلى هذا وفي بنية ذات جملة موصولة ، لا يمكن تحديد العائد وهو المتعلق بالتركيب من خلال تطبيق القواعد ، فمثلا يصعب تحديده في الجملة الفرنسي : Il s'agit d'un écrivain ami de flambert ; qui est l'auteur des « convalsion de paris » . إذا لم يكن معلوما بأن هذا الكتاب هو لماكسيم دو كامب Maxim Du Camp وليس لفلوبير Flaubert .

مثال آخر هو مثال صيغة الأمر التي هي مرمزة بوضوح في علم الصرف في أغلب اللغات ، فهي ليست مجرد نقل للخبر وإنما تكلف المرسل إليه بفعل شيء ما . واللافت للنظر أن الترميز اللغوي لصيغة الأمر يوافق في كثير من اللغات التي تصرف الفعل في الصيغ الأخرى ، الصيغة

المجردة للفعل : إن مقام الحال إذ يجعل للتوجه نحو المخاطب أمرا واضحا ، فإن اللغات التي لا تشير إليه تعبر إذن سلبا عن مشاركة ظروف التخاطب في بناء المعنى . وتعد صيغة الاستفهام هي الأخرى مرمزة في إطار اللغة من خلال منحنى تنغيمي مع أو بدون كلمات خاصة(ينظر إلى اللغة الفرنسية بخصوص est que) أو مقطع خاص (كما في اللغة الفرنسية الرفيعة مع أسلوب القلب viens tu) يسيطر السؤال ، رمزيا على الأقل ، على من طرح عليه السؤال حيث أن جوابا الذي ـ وهو اللغوي في الغالب ـ ينتظر منه : « إن السؤال رغم كونه يتمثل في طلب الحصول على خبر ، فهو أيضا سيطر على شخص متكلم آخر الذي تنطوي عليه وهذا مهما كان تصرفه كمجيب افتراضي ، ذلك ولو اقتصر الأمر على إصراره على رفض الإجابة . إنه بمثابة حجز رمزي على الجسد ، وزمن وكلام الآخر ، لكونه ببساطة يكسر حاجز الصمت ويفتح فضاء لغويا . »

وجهة النظر التلفظية الهرمية

التداولية

بتركيز الدراسة على إشكالية الموضوع والمحمول أو بمعنى آخر إشكالية اختيار المتكلم وفهم المستمع لهرمية الخبر ، فإنه ورغم توسيع حقل الدراسة ، يتم مع ذلك غطس اللسانيات في محيط التداولية . ويشير هذا المصطلح إلى تيار بحث يعرف منذ بعض العشرينيات تطورا بارزا في أوروبا وأمريكا الشمالية . ويكون مخترعها المفترض ك . س . بيرس غير أن تلميذه السيميائي ك . و. موريس هو من كان قد أدمجها في إطار نظري يحيل فيه هذا المصطلح إلى علاقة بين الأدلة ومستعمليها . وفي حقيقة الأمر ، تتعلق المسألة هنا بنموذج يعتبر اللسان نظاما من الأدلة مطبقا على الخطاب العلمي[1] . غير أن التطورات اللاحقة للتداولية كان عليها ، فيما يخص إشكالية الروابط بين اللسان والمتكلمين ، توسيع حدودها كثيرا بحيث لا يظهر دائما بوضوح أين ينتهي إقليمها[2] .

ومقابل هذا التنظيم المتحكم فيه بشكل سيء لحقل التداولية تتعلق

(1) C . W . MORRIS, « foundations of the theory of signes », in O . Neurath, R . Carnap et C . W . Morris, international encyclopedia of unified sciences, Chicago the university of chicago oress vol . I, n1, 1938, p 1, 59 .

(2), Cf . C . Hagège" les pieges de la parole ", op-cit .

وجهة النظر التلفظية الهرمية في نظرية وجهات النظر الثلاث بالقطبية التقابلية بين الموضوع والمحمول اللذين تم تحديدهما آنفا (ص278) . ومن هنا إمكانية إرساء وبتضامن المنظورات الثلاث على حقيقة واحدة ، وذلك بربط وبوضوح الاستراتيجيات التلفظية بالتركيب والدلالة . ويمكن مرة أخرى ، تقديم ملفوظ بسيط يخص الملفوظ الفرنسي l'enfant s'est endormi الذي يكون قابلا للتحليل من خلال ثلاث طرق متضامنة :

فالجزء الأول : l'enfant يعد فاعلا من وجهة النظر الأولى ، وعاملا من وجهة النظر الثانية ، وموضوعا من وجهة النظر الثالثة ، والجزء الثاني s'est endormi يمثل على التوالي مسندا وإجراء ومحمولا . ويتم تحليل الموضوع والمحمول كل منهما مقارنة مع الآخر وليس انطلاقا من قيمة مطلقة . ونتيجة لذلك فإن الموضوع ليس بالضرورة حاملا لخبر قديم كان أو مكتسبا ولا المحمول ناقلا للجديد والمجهول . ففي ملفوظ ما ، يكون المحمول إخباريا أكثر من الموضوع وهو ما لا يمنع هذا الأخير أن يحمل بالمناسبة خبرا جديدا . فطرح موضوع ما ليس معناه الاكتفاء بالمعطى المقامي أو بالسياق السابق الذي نرغب في التعليق عنه ، وإنما أيضا منحه تعبيرا لغويا باعتباره ركيزة . وهكذا ، ينبغي تمييز معنيين اثنين على الأقل لهذا المفهوم : الموضوع كعامل يحدد عالم الخطاب أو يطرح ما يدور حوله الكلام ، أي كركيزة مقابل المحمول كعامل جلب ، والموضوع باعتباره خبرا قديما أو إعادة للمعلوم ، مقابل المحمول كخبر جديد أو عرض لما هو ليس معلوما كفاية . وكلمة معلوم تنطوي في هذا المقام على درجة من المعرفة أو الوعي الذي يملكه المتكلم الذي لديه أسباب تجعله يفترض على المستمع ما يتكلم عنه .

إن القرابة الإحصائية بين الموضوع والفاعل يمكن مراجعتها فيما يخص المعنيين الذين يحملهما الموضوع . فإذا صادف الفاعل في أغلب الأحيان الموضوع باعتباره محددا كركيزة لما يقوله بقية الملفوظ ، فيمكن التنبؤ هنا إلى أن العناصر التي تحمل وظيفة الفاعل ستكون وبشكل أقل مقارنة مع عناصر أخرى ، مراكز تحديد توافق أخبارا متعددة . وإذا صادف أن يكون الفاعل في أغلب الأحيان محددا كخبر قديم فيمكن التنبؤ بأن أنواع الكلمات التي تحيل إلى المعلوم ، وخاصة الضمائر منها ستشغل غالبا وظيفة الفاعل أكثر من الوظائف الأخرى . وهذين التنبؤين قد يتم

إثباتهما بالنسبة للغة الفرنسية من خلال دراسة حديثة العهد[1] . ومعنى هذا أن بعض اللغات تستعمل علامتين متميزتين تختلف حسبما يتعلق الأمر بفاعل أو بموضوع ، لكن في هذه الحالة ، يستجيب الاستعمال التفضيلي لعلامة الموضوع لنية محددة . وهكذا ، لوحظ في اليابان على مستوى جميع المحطات الإذاعية والتلفزية خلال فترة محددة أن ما يسمى على نحو جد ملائم بالأخبار باعتبارها تضيف شيئا جديدا (الموضوع) لشيء أجد منه (المحمول) ويتم تعليم العنصر الأول بالنسبة لأكثر من نصف الجمل من خلال معلن الموضوع wa . وتحديدا أكثر ، غالبا ما تتم ترجمة wa في اللغات التي تقابل بين أدوات التعريف وأدوات التنكير (حيث أن ما يفترض بأنه معلوم يؤخذ في نفس الوقت على أنه قابل للتعريف)[2] . والحال أن هذا العنصر الأول كان يجب تعليمه بعلامة الفاعل ga (الذي يترجم غالبا في اللغة الفرنسية بأداة التنكير un) التي تشير إلى كونه مجهولا . وما يمكن استخلاصه هو استجابة الإجراء لنية محددة : تقليص المسافة الذهنية بين المذيع والمستمعين[3] .

يمثل هذا المنحنى التنغيمي والتقديم علامات كلية للموضوع في تقابله مع المحمول . لكن وفي بعض اللغات تضاف بعض المورفيمات الخاصة ، مثلwa في اللغة اليابانية . وفضلا عن هذا يوجد بعض الاستراتيجيات التي تختلف عن التقديم . وتميز اللغة الفرنسية بين نوعين من الموضوعات في الحديث ، فالموضوع كخبر قديم أو إعادة لما هو معلوم غالبا ما يتم تأخيره ، في حين يحدث تقديم الموضوع إذا كان ركيزة . وهكذا يتقابل كل من : Ca s'élève tout seul ,l' enfant أو il n'est pas la ,papa . ، حيث يكون كلا من enfant وpapa موضوعا تفاضليا

(1), R . Jolivet, description quantifiées en syntaxe du français ـ approche fonctionnelle, Genève et Paris, Slatkine, 1982, p 184et282 .

(2) لكن أداة التعريف يمكنها جدا في هذه اللغات ، على عكس ما هو مدرس عادة ، مرافقة موضوع ما على أن يتعلق الأمر بالموضوع كركيزة (ليست معروفة بالضرورة) ، وليس كموضوع باعتباره خبرا قديما ، ومنه في اللغة الفرنسية .

« Une solution politique, d'accord pour la (réplique sur le poste de radio France-inter, 13-8-1971, 8 heure d'après A sauvageot, Analyse du français parlé, paris, hachette, coll . « recherches/applications », 1972, p 16) .

(3) CF . Iyoko Hirata « Gaor wa for new referents in a discourse », working group 28 ;Characteristics of Japaneese expressions in news reporting, in proceeding of the XIII th international congress of linguistics, op-cit, p 1387 .

ومؤخرا ويشكل خبرا مقدما من قبل ، كما يتقابل من ناحية أخرى ، les chiens mordent quand on les provoque (أسلوب رفيع ، يحمل إشارة ضعيفة لكلمة chiens)أو les chiens ça mort quand on les provoque (أسلوب محكي ، يحمل إشارة قوية لكلمة chiens التي تكررت باستعمال ça) . والاستراتيجية الأولى المتمثلة في تأخير الموضوع التفاضلي والأرجح أن يأتي في شكل كلمة مختلفة ، من خلال تكراره في الصدارة وإشارته إلى نفس المرجع ، هي إحدى الخصائص التي تعطي للجملة السيلينية إحاطتها المألوفة وفي نفس الوقت نبضها المأساوي : « لقد اكتشفت للتو الحرب بأكملها . . . يجب أن يكون الشخص وحده تقريبا أمامها كما كنت أنا حينها للتمكن من رؤيتها بوضوح ، البقرة ، وجها لوجه وجانبيا »[1] . إن التسجيل المقطعي للمقابلة بين الاستراتيجيتين ليست نظامية ، رغم ذلك فهي تظهر الفائدة من وراء التميز بين نمطي الموضوعات[2] . ويظهر من بين السنن المعروفة أن اللغات هي الوحيدة التي تكون ركيزة الخبر (الموضوع كعنصر محدد) فيها ظاهرة .

إن اللغات بالإضافة إلى دورها كأدوات للتحليل والتأويل المنطقي ، هي بالمثل آليات في متناول المستعملين الذين تسمح لهم بتدريج الخبر . وحتى في الاستعمالات الأكثر تجريدا كما في الأسلوب العلمي وخاصة الرياضي منه ، فإن هرمي الركيزة والجلب التفاضلية تنظم الخبر . وهو الحال بالأحرى في الحوار أين يكون تفاعل محركيه واضحا أكثر وواعيا بشكل أوسع . ويجعل هذا التفاعل من الاستراتيجيات معقدة أكثر . وبالخصوص فإن مجرد التقدم الخطي للخبر[3] لا يمثل الاستراتيجية الوحيدة الممكن في الخطاب . فالمستعمل يمكنه تغيير المنظور ، وأن يضع في المقدمة أو يترك في الخلفية وبالتناوب حسب الحاجة هذه الحجة

(1) مقطع من
Voyage au bout de la nuit (1932) . Cité par J . Kristeva, « le sens et l'hétérogéne, a propos du statut du sujet », DRLAV (Université de paris VIII) n30, 1984, p 19(1-25) .

(2) وحول هذا التمييز ، وعموما حول كل هذه المسائل المرتبطة بتنظيم الخبر ، ينظر مؤلف
J . Perrot, en particulier « Fonction syntaxiques, énonciation, information, »Bulletin de la société de linguistique de Paris, 73, 1, 1978, p 95-101 .

(3) Cf . M . C . Hazael-Massieux . « Support et analyse du discours » . Le français moderne . 45 . 2 1977 . p . 156-164 .

أو تلك . ويطبق هذا بالطبع على مستوى الفقرة على أنه تتابع للجمل كما هو الشأن داخل الجملة ، وبالضبط ما إن يؤخذ بعين الاعتبار نص أطول من مجرد ملفوظ منفرد ، حتى يكتشف بأن ترتيبا ذا تتابع تفاضلي ـ عندما يكون الإطار متعلقا بهذا النمط من الملفوظات ــ يمكنه تشويش وضوح وانسجام الوحدة النصية التي تتشكل من تتابع للملفوظات عندما تكون هذه الوحدة هي ما يشكل الإطار . وبالنسبة لنص محدد بهذا الشكل ، يكون من السهل تدريج عناصر الخبر إذ عرفت اللغة نوعا من الحرية في ترتيبها للكلمات . وفيما يخص هذه النقطة ، يتميز النثر الأدبي الفرنسي (وليس اللغة المحكية ولا حتى نثرا أقل أدبية) بنوع من الصلابة التي بتفضيلها الترتيب : فاعل» مسند فعلي» مفعول ، قد تحجب نتيجة لذلك الانتقالات المنطقية : فالفضلات التي كانت بمثابة الخبر الجديد في الملفوظ السابق عليها أن تظهر في مقدمة الملفوظ اللاحق (باعتبارها مواضيعا ، فهي تمثل خبرا اقل جدة) .

وهكذا إذن وفي اللغة الفرنسية الأدبية ، يضحى بترتيب الأفكار في سبيل تتابع نحوي محض . وانطلاقا من هذا التفضيل ، يشكل المقطع التالي لفولتير (Louis XIV de siècle الفصل 30)[1] مثالا لذلك : « Ce n'est point vie commande c'est le génie . en effet l'argent et l'or qui procurent une Un peuple qui, qui sans ces métaux serait très misérable, un peuple qui sans ces métaux, mettrait heureusement en œuvre toutes les productions de la terre, serait véritablement le peuple riche . La France a cet avantage avec beaucoup plus d'espèces qu'il n'en faut pour la circulation » . إن مستويات الخبر تظهر بشكل أفضل إذا تم نزع الضغوطات المقطعية . فيكفي أن يقدم كموضوع أي عامل يشكل في كل جملة خبرا قديما (كونه يستنبط من الجملة السابقة) أي بمعنى آخر صياغة انتقالات حسب الموضوعات ، للحصول على نص يرضي أكثر فيما يخص هرمية الخبر ، Ce n'est point en effet l'argent et l'or qui Procurent une vie commode ; c'est le génie . Les métaux un peuple qui n'aurait qu'eux serait très misérable ; (ces métaux), un peuple qui, sans eux mettrait

(1) Cité par H . Weil, De L'ordre des mots dans les langues anciennes comparées aux langues modernes, op-cit . p . 34 .

heureusement en œuvre toutes les productions de la terre serait véritablement le peuple riche . Cet avantage, la France l'a avec beaucoup plus d'espèces qu'il n'en faut pour la circulation » . . إن هـذا النـوع مـن ترتيب الكلمات غالبا وحتى في أيامنا هذه ما يتم تجنبه في اللغـة الفرنسية الأدبية رغم كونه معتمدا في اللغـة المحكيـة . ومهمـا كـان قليلا ذكـر نقـاط عديدة في الحـوار أو انتماؤهـا إلى عـالم الخطـاب ، فإنـه يمكـن إدراج كـل واحدة في الأخرى ما دام ذلك لا يعيق الفهم : Moi mon copain , son père , il est pilote حيث يمثل moi موضوعا مقارنة مع الباقي ، في حين أنـه ضـمن هذا الباقي الذي يتشـكل مـن المحمـول يحـدث أن ينفصـل موضـوع آخـر متداخل هو mon copain ، كما هو الحال أيضا ، وفي مستوى آخـر بالنسـبة لـ son père .

إن هذا الترتيب التقدمي الوفي لتمفصـلات الجلـب والركيـزة هـو في الغالب نفس الترتيب في النصوص اليونانيـة واللاتينيـة . وهكـذا تكـون هـذه الانتقالات طبيعية بما يكفي في هـوميروس في حـين إن الترجمـة الفرنسـية تقـوم بمحوهـا : ton d'apomeibomenos proséphè podas okus Achilléus[1] والـتي تعـني حرفيـا : « Lui alors répondant déclara pieds légers Achille » ، أي كما يظهر في اللغة الفرنسية الشـائع الوحيـدة : Achille aux pieds légers lui répondit » وفي حين لم يتم ذكر آشيل في البيت السـابق ، فإنـه يمثـل في هذا البيت عنصرا جديدا يشكل ظهـوره المفـاجئ في المقدمـة حـاجزا أمـام الاستمرارية ، وعكس ذلك ، يـذكر الـنص اليونـاني أولا (ton « celui ـ « ci) الخطيب الظاهر سابقا ، الذي يكون بذلك معلوما والذي يجيبه آشيل .

وعليه ، تغطي وجهة النظر3 في نظرية وجهـات النظـر الـثلاث جانبـا هاما في دراسـة اللغـات وهـو مـا يتطـرق إليـه الوصـف التركـيبي الصـرفي (وجهة النظر1) . وهكذا يكـون السـؤال حـول معرفـة مـدى اسـتقلالية هـذه الدراسة حول علاقة اللغة بمستعمليها عن دراسة المعنى كهدف نهـائي ولغـز دائم لمادة اللسانيات . هل يمكن اعتبار وجهة النظر3 التلفظيـة الهرميـة بأنهـا تضم ميدانا مستقلا مقارنة بوجهـة النظـر2 الدلاليـة الهرميـة ؟ وللإجابـة عـن ذلك ، ينبغي أولا أخذ موقف فيما يخص أهمية هذا الفصل المعـاد ذكـره ، من خلال صيغ مختلفة مـن قبـل جميـع النظريـات الحديثـة تقريبـا : اللغـة

(1) Iliade, I, 84 .

كنظام والكلام كنشاط .

ولفائدته المنهجية ، لعب هذا التمييز سلبا ـ بسبب المبالغة في دراسته ـ دورا هاما في مصير لسانيات القرن العشرين . وكان ف . دوسوسير الذي منحها الصياغة الأكثر وضوحا قد اعتبر لسانيات اللغة ولسانيات الكلام بمثابة طريقين يستحيل سلكهما في الوقت نفسه» (دروس في اللسانيات العامة ، وقد اكتفى بأن يلتزم ، كما أعلن ذلك عندما حسم السجال ، ب «اللسانيات بمعناها الحصري ، أين تكون اللغة موضوع الدراسة الوحيد واستمرارية لهذا الإلمام ، يلاحظ سوسير ، عند تطرقه فيما بعد لمسألة وضع الجملة ، أن هذه الأخيرة تنتمي إلى الكلام وليس إلى اللغة[1] . وهذا ما يكفي لاستبعادها ، حيث يمكن قراءة ما يلي بخصوص الجملة « إذا كانت متعلقة بالكلام ، فهي لا يمكن أن تكون وحدة لغوية» .

هذا الاستبعاد وهذا التضامن في الإجراءات الذين يقوم احدهما بتأجيل لسانيات الكلام والآخر بإقصاء الجملة ، قد عرقل خلفاء سوسير كثيرا ، وبشكل كبير ، كان تاريخ اللسانيات من بعده تاريخا لإحياء علم التركيب الذي تكون فيه الجمل موضوعه الرئيسي بالتحديد ، وتاريخا أيضا للارتقاء بالمتكلم الذي يركب الجمل في إطار النشاط الكلامي . تقليد بكامله تم عرضه في العهد الكلاسيكي من قبل بور رويال ، ومن ثم من قبل النحو الفلسفي حتى العشريات الأولى من القرن XIX ، وهو ما يتضح من خلال السجال القائم حول ترتيب الكلمات وكل ذلك عمل على تمجيد علم التركيب . أما النحو التوليدي فقد أحياه في النصف الثاني من هذا القرن[2] ، أو بالأحرى أعطى لهذا الإحياء نبضا جديدا[3] . ولكن بإنكبابه عليه إلى تلك الدرجة ، نسي إنه لا يوجد تركيب في حد ذاته وبأن اللغات تعمل على نقل المعنى .

---

(1) م ، ن : ص172.

(2) N . Chomsky, Syntactic structures, La haye-Paris, Mouton, 1957 (trad . Fr . PARIS ?Ed . seuil, 1969) .

Id . , Aspects of the theory of syntax, op-cit .

(3) وفيما يخص الأعمال التي ومن قبل سنة 1957 منحت التركيب مكانة كبيرة من بالي إلى جاكبسون مرورا بفراي وتيسينيار .

CF . C . Hagège, la grammaire générative, op-cit, p 101et Critical Reflexions on Generative Grammar, p 168- 169 .

وقد خلف النحو التوليدي ــ وفي بعض الأحيان كرد فعل ضده سلسلة من المساعي التي يتم إدراجها اليوم تحت لواء التداولية التي لا تسلم من الخلط في كثير من الأحيان ، وهي التي تم تناولها من جديد وتوسيعها انطلاقا من موريس (ينظر أعلاه) ومن التلفظ . إن النقطة المشتركة بين التلفظ والتداولية ووجهة النظر 3 التلفظية الهرمية تتمثل ــ وبعيدا عن الاختلافات الواضحة ـ في الأخذ بعين الاعتبار لنشاط الفاعل في ممارسته للكلام ، أي بعبارة أخرى لكل ما أهملته نماذج اللغة التي تعتبرها نظاما محضا . ورغم ذلك ، ترتبط هذه الأخيرة في نظرية وجهات النظر الثلاث بشكل ضيق بالوجهة الدلالية واللفظية . لكن الإطار المتبنى في هذا المقام لا يمكنه أن يوجد نوعين متمايزين من اللسانيات كما أسس لذلك سوسير وبفنيست كلا على حدة[1] . ومما لاشك فيه ، من الفائدة منهجيا عدم خلط اللغة كنظام والكلام كنشاط ورغم ذلك لا مجال لإدراك الأولى إلا من خلال الثانية وهي التي تقوم بالمقابل بإثبات وجودها وتحت مسميات وحجج متغيرة تجهل أغلب النظريات الحديثة هذه الوحدة .

وفي نسخته الأولى التي لم تنفك من أن تخضع للتنقيح والتي يبقى العديد متعلقا بها مع ذلك ، ينسب النحو التوليدي إلى « الأداء » أو « فعل الاستعمال » الانزياحات والانحرافات وكل الفوضى الفردية التي تسعى إلى إبعادها عن « الملكة » وهي المفهوم الذي يحدد معرفة المستعمل لنظام اللغة . وبالمثل تم إبعاد كل الأفعال المتعلقة بحدود الذاكرة وحدود تداخلات وضغوطات إجراءات الإطالة . وهكذا لن يكون هناك وجود لممنوع نظري مقابل تراكم التخصصات الاسمية كما في : L'ami de frère de directeur de l'école de ... ولا مقابل تراكم الجمل الموصولة كما في : voici le chat qui a attrapé le rat Qui a manger le fromage qui ... ووحدها حدود الأداء هي التي تفسر الغياب الاعتيادي لهذه التراكمات . وهذا ما يعني جهل كون المبدأ المنظم لمثل هذه البنى هو أمر متعلق بالملكة . وينبغي على اللغة كنظام أن تحتوي فيما يخصها الآليات التي تكيف القواعد أو تسمح بانتهاكها أثناء ممارسة الكلام ، إذ ما دام هذا الانتهاك لا يمنع المعنى أن يتركب وأن يكون ملموحا فإنه لا أحد سينكر أن

(1) إن لسانيات اللغة و لسانيات الكلام عند سوسير ، والدلالة والسميائية عند بنفنيست ، هما تقابلان غير متطابقين ومع ذلك فهما متقاربان أكثر مما قلناه : ينظر الفصل v ، 137-143 والتعليق 14 .

المخاطبين يتكلمون نفس اللغة فالكلام واللغة كلاهما لا يمكنهما إذن أن يمثلان مجالين مستقلين .

وهكذا إذن ، لا تعمل المفارقة التشومسكية سوى على إعادة المفارقة السوسيرية بصيغة أخرى ، ورغم الرفض الظاهر[1] ؛ فكلاهما معاد للاجتماعية بإصرار . إن الثمن المدفوع لبناء موضوع علمي متجانس مرتفع جدا : فبعد إقصاء التنوعات الفردية ، لا يبقى سوى السنن الذي يتقاسمه أعضاء المجموعة الواحدة بأكمله . غير أن التنوعات تمثل الواقع في حد ذاته ، وأي مسعى يحد منها ويتجاهلها يؤدي إلى لسانيات مفرغة من محتواها الاجتماعي ، والحقيقة أن النظرية هي التي تحدد هدفها . قام سوسير ، الذي بحسبه يكون « للسانيات موضوعا وحيدا وحقيقيا هو اللغة التي تدرس لذاتها ومن أجل ذاتها » (الجملة النهائية ، الكثيرة الذكر والتي يمكن أن تكون مزورة من كتاب دروس في اللسانيات العامة) بإقصاء الفرد المتكلم وفي نفس الوقت بإهمال التفاعل بين المتكلمين وفي لغة متصورة على هذا النحو ، يجري الأمر وكأن لا أحد يتكلم . فالمستعملين الأحياء والعلاقة التي ينسجها بينهم تبادل الكلمات تتم إحالتها إلى لسانيات الكلام المؤجلة إلى أجل غير مسمى .

لكن على العكس ووفقا لحركة الرقاص الذي يقدم تاريخ العلوم أمثلة أخرى كثيرة عنها كان لتطورات منجزة في دراسة أفعال الخطاب والمستلهمة من أوستين[2] وسيرل[3] أثّرا تمثل ، خاصة عن التداوليين ، في أن ينسى في غالب الأحيان ، وذلك من فرط رد الفعل ، أن الكلام لا يدرك خارج نظام اللغة التي تضعه رهن الممارسة . تمثل النصوص نتائج لا يمكن فصلها عما تنتج عنه ، وهو السنن . وبالعكس ، فإن النشاط الإجرائي للإنسان المحاور يجعل السنن بارزا . فهو يشكله حتى على مر التاريخ بإثارة التغييرات التي ترصده بشكل دوري من خلال الاستعمال الذي تجعله منه .

(1) N . Chomsky, Aspects of the theory of syntax, op-cit, p 4 .

(2) J . L . Austin, How to do things with words, Oxford, Oxford University Press, 1962

(3) J . R . Searle, Speech acts . An essay in philosophy of language, Cambridge Unversity Press . 1962 .

إن هذه الوحدة لحقل تحدده القطبية لغة / كلام تظهر في كل مكان . وفي المعجم أغلب الكلمات المليئة (أي غير الأدوات النحوية كأدوات التعريف والتنكير ، والروابط) يمكنها ، عند توظيفها في الخطاب أن تغير من القيمة المرتبط بهذا الاستعمال . إن تطور المفردات من بين أشياء أخرى يحكمه في حقل التعيين أي المعنى الأول الذي يقدمه القاموس ، إلحاقه بالتضمين أي بالمعنى في علاقته بموقف خاص . إن الموقف يخلق بحد ذاته العلاقة التي تجمعه بدال ما . وما أن يسمح تواتر نفس الوقف بذلك ، حتى تدرج اللغة دوالا جديدة . ومن بين أمثلة لا تعد ولا تحصى يمكن ذكر السلسلة التقليدية : traiter, muer, couver, pondre في اللغة الفرنسية ففي الظروف الخاصة المرتبطة بالحياة الريفية التي قامت في فرنسا منذ زمن قديم جدا . اكتسبت تلك الكلمات المعاني التي منحها إياها أسلافهم اللاتينيون trahere, mutare ,cubare , ponere والتي تعني على التوالي « tirer+ =être coucher , =changer+ , » « poser » . وأمام الحدود الموجودة بين الحقول التركيبية والدلالية ، أصبحت ظاهرة مثيرة وهي ظاهرة الحذف ، التي تشكل أساسا محلا قديما للجدالات النظرية ، قابلة للتأويل بفضل النظرة الموحدة المقترحة في هذا المقام : فيمكن اعتبارها بمثابة تفريع لموضع من سلسلة الكلام وهذا التفريع خاضع لخصائص بناءة للسنن وليس للخيال أو للخيارات الأسلوبية ، والذي في نفس الوقت يجربه المتلفظ أثناء النشاط الحواري . هكذا إذن يعد الحذف في نفس الوقت مرمزا ومفتوحا أمام إجرائية الفاعل ، مثل بعض الوقائع اللغوية الأخرى التي تمثل موضعا لجدلية الضغوطات والحرية . ومن هنا يلتقي بظاهرة ــ تحد أخرى وهي ظاهرة اللبس . واعتبارا لكون كلاهما يشكل رهانا تقوم عليه نظرية لسانية ما ، فإنهما يظهران كمرشدين إبيستمولوجيين نحو مسار وحدوي في شكل نموذج حواري للفاعل .

ظاهرة أخرى هامة تبين بوضوح وحدة وقائع اللغة والكلام هي : التنغيم الذي هناك نزوع إلى إخفائه عند التعامل مع اللغة المكتوبة وحدها بعيدا عن الظروف الفعلية المتعلق بتلفظ النصوص . يجيد الأخصائيون اليوم أكثر فأكثر تحليل المنحنيات التنغيمية ومعرفة تنوعات سجلات الصوت انطلاقا من السجل دون البطيء وصولا إلى عالي الحدة ومرورا بجميع الدرجات الوسيطة سواء يتعلق بمسار مستو ذي نغم أحادي أو بنغمة تصاعدية . وبالمقابل ، فإن ما يهم أكثر هو الكشف عن ترميز ينطلق من

هذه المنحنيات المتعددة . وبالفعل ، يحدث أن ترتبط ـ بعيدا عن حالات خاصة جدا مثل التقابل بين الموضوع والمحمول * أو مثلا الاستفهام (وهما مجالان لا يخلوان من التنوعات الاحتمالية) ــ المعاني وهي التي تختلف وتكون قليلة التوقع في كل مرة ، بمنحنيات التنغيم . لا يتفق المتكلمون دوما حول محتويات المنحنيات غير أنه في الحالات ــ العديدة كفاية لحسن الحظ ـ التي يتحقق فيها الاتفاق تكون ملاحظة سلوكهم اللغوي بطبيعة الحال مفعمة بالتعاليم .

إن ظاهرة تفاضلية متعلقة بسلسلة الكلام كما هو الحال بالنسبة للتنغيم ، يمكنه رغم ذلك أن يندرج في إطار نظام اللغة . ويمكن العثور على دليل ذلك في مثال بسيط يظهر في الاستفهام الفرنسي : Vous avez l'heure . إن التداوليين يدعمون في هذا المقام فكرة وجود تناقض بين علم التركيب الذي يبدو انه يتساءل حول ملكية أو عدم ملكية الساعة ، وبين علم الدلالة الذي يستدعي ــ ما لم يقل المستمع « لا » جوابا يحدد الساعة ، وليس جوابا بـ : نعم ، ويمكن رفع هذا التناقض في إطار كهذا من خلال الأخذ بعين الاعتبار للبعد التداولي الذي يعتبر بحسبه أن السؤال في هذا المقام لا يكون إلا في المواقف يرجى فيها معرفة الساعة . كل شيء يتعلق في الواقع بالتنغيم الذي جرت العادة على صرفه باعتبار التفكير ينطلق من ملفوظات معزولة بتصنع والذي يحدث هدمه في فضاء مسطح على سبورة القسم أو على ورقة . إذا لحقت علامة حادة ومن ثم نغمة تنازلية سريعة بالمقطع الثاني من avez وجاء التلفظ بـ l'heure في إطار سجل غليظ أو دون الغليظ ، فحينها إذن ، وبالنسبة لكل فرنكوفوني يتعلق الأمر (غير أن هذا يمثل حالة نادرة) باستفهام حول امتلاك الساعة أم لا في هذه الحالة ،

* تعد المنحنيات التنغيمية التي تقابل بين الموضوع والمحمول مرمزة تقريبا . إن ملفوظا من قبيل il mourrait sans elle ، المتلفظ به في إطار الإحاطة 1 أي نغم أحادي وسيط في البداية ، ثم حول sans elle نغمة حادة تنازلية له نفس المعنى مثل sans elle il mourrait المتلفظ به في إطار الإحاطة 2 أي نغمة أولية حادة ، متنازلة ، ثم حول il mourrait بطبقة غليظة . وفي كلتا الحالتين ، يكون المعنى il mourrait loin d elle hors de sa présence وبالتناظر مع ذلك فإن ملفوظا مثل sans elle il mourrait متلفظ به في إطار الإحاطة2 وفي كلتا الحالتين يكون المعنى هذه المرة (« il mourrait si elle n'était pas là (pour le soigner, l'aider, etc . ») وبعيدا عن التباين بين الموضوع والمحمول ، تكون الحالات الأخرى الخاصة بالتركيب بين المقطع والتنغيم أقل وضوحا . فالملفوظين ...moi, le ski و...le ski, moi ، يؤولان بالمعنى التحقيري أو التحسيني من قبل الفرنكوفونيين الذّين تم استفسارهم ، وذلك حسب التنغيم : فوفقه يكملون إمّا je n'aime pas ça أو j'aime ça .

فإن الجواب المنتظر قد يكون نعم كما قد يكون « لا » ، فيكون ب « نعم» على سبيل المثال إذا كان المتسائل من حيث أنه لا يملك ساعة يد يرغب في أن يطمئن بالنسبة للمستمع الذي يمتلكها فيما يخصه ، بأن هذا الخير يمكنه أن يجيبه عند اللزوم (شخص أو حدث منتظر بالنسبة لساعة محددة) .

ولكن يحدث أن لا يكفي التنغيم ، حيث تعتمد تضمينات ملفوظ محدد على الموقف وعلى الروابط التي يشكلها بين المخاطبين . في هذا المقام ، تظهر من جديد الإشكالية المصاغة أعلاه حول إدراج هذه العوامل في دراسة المعنى بصفة عامة . إنّ رد التداوليين على ذلك ، أو الكثير منهم ، تسلم بالإدراج العكسي المتمثل في الدلالة . وهكذا ، سيكون مقام الحال هو ما يسمح للملفوظ il fait froid ici المتلفظ به في غرفة ذات نوافذ كبيرة مفتوحة في عز الشتاء ، أن يكون بمثابة دعوة لإغلاقها . وإذا افترضنا بأن المستمع الذي لا يقوم بإغلاقها أنه لا يفهم ، فإنّ النظرية الملازمة لهذا الموقف ستتمثل في ربط إعادة بناء المعنى أو لا بمواقف الحال . والحال أن المنطقة ب الموافقة لهذه المواقف هي كما نعرف الميدان الخاص بما لا يقبل الترميز ، في حين أن المعنى يغطي بالمثل مكونات المنطقة أ التي هي مرمزة ، هناك استقلالية إذن للدلالة وبالتالي للوجهة اللفظية الهرمية ، وإذا تم توسيع هذه الأخيرة إلى مفهوم التداولية ذات الإقليم الشاسع والمبهم فإن ذلك سيلحقها بالمنطقة ب ، في الوقت الذي يكون فيه التقابل في نظرية وجهات النظر الثلاث بين الموضوع والمحمول مرمزا بوضوح . ولتقييم المعنى في موقف من مواقف الحال ، تنقص المعايير القابلة للبت ، وبالتالي أيضا فإن الحل الوحيد وبعيدا عن تنوع الافتراضات ، عليه أن يحدّد إجماعا ما .

لكن هناك المزيد ، لا نقول دوما ما ترغب في قوله ، كما أننا لا نقصد دوما ما نقوله ، إن عبارة ل . كارول تذكر بأن حتى أفعال الكلام الموسومة بغير المباشرة ، وهي المواضيع المفضلة عند التداوليين ، يمكنها أن تكون مبهمة أو تدرك بشكل غير مناسب ، ويوضح المثال المذكور أعلاه حالة الملاحظات التي تقبل التأويل كطلبات ، إنّها ليست مفهومة دوما ، ولا حتى أفعال الكلام الأخرى : الأسئلة المعادلة لأوامر لطيفة أو صارمة ، التماس العفو في شكل شروحات ، . . . إلخ . صحيح أن بعض الصيغ غير

المباشرة تظهر واضحة كما هو الحال بالنسبة لاستبدال الضمائر الشخصية كما في maintenant nous allons nous laver les mains التي قالها المعلم لأطفال صغار أشار إليهم ب nous أو في on en vient a la conclusion qu'il بمثابة je و il y a حيث يكون on بمثابة vous avez fait y a là une erreur حيث يتم تقليصهما من خلال التنكر . وفضلا عن ذلك ، صحيح عادة أنه عند التكلم بملفوظات المسماة بالأدائية على اثر أوستين فإننا نقوم بفعل مقام حال الكلام بتأدية الشيء الذي نقول بتأديته : j'ordonne qu'il s'en aille أو nous te permettons de revenir أو la séance est ouverte . غير انه في هذه الحالات كما في حالة اللغة غير المباشرة التي كان يدرسها علم البلاغة الذي هو سلف للتداولية اليوم من خلال المجاز ، والتعابير البيانية كوسائل ملتوية لنقل المعنى ، ولإقناع المخاطب والضغط عليه[1] في كل هذه الحالات إذن يتم الانطلاق من أحداث لغوية أيمن تسجيل المعنى من مادة الخطاب .

ما إن نبدأ بوضع فئات مفاهيمية دون الانشغال بأن نجد لها ، في النسيج المادي الخطابي أثارا أيا كانت لتكون كمعالم وضمانات فإن ذلك يعني سلك درب غير محقق ، ورغبة في إدراج جميع العوامل المشاركة في المعنى ، سواء كانت مرمزة ، نلزم أنفسنا بالإحراج المتعلق بالمعرفة العالمية مصحوب بتنبؤ غير محدود ، كما كرر ذلك على بعد 35 سنة ل بلومفيلد وأ . إيكو[2] . لا وجود للعلم إلا من خلال المغلق والإقليم اللغوي لا يمكن إغراقه في محيط حسابات غير مستندة إلى صيغ . إن الجسر الوحيد بين الدلالة والتداولية بالمفهوم الواسع ، والذي تنشغل به اللسانيات هو المخاطب في حد ذاته باعتباره منتجا ومحللا لرموز المعنى في المحيط الاجتماعي الذي يتشكل كما في وسطه الطبيعي . وهكذا يبقى أن يتم تناوله في هذا الإطار .

(1) لا نذكر من بين المؤلفات العديدة حول البلاغة سوى واحدا من أشهرها تقريبا .
Les figures du discours, de p Fontanier, 1821, réed . Paris, Flammarion, 1968 .

(2) وينظر في ثقافة أخرى :
ـM . C . Porcher, « Théories sanskrites du langage indirect » Poétique, 23, 1975, p 358-370 . Bloomfield, language, Londres, Allen & Unwin, 1933, p 74 ./U . Eco, La structura assente, Milan, Bompiani, 1968 .